بهيج حجيج لـ" السياسي": أبطالي ضحايا الحرب وعقيدة السلاح
بيروت – رضوان الأمين
AM GMT 7:57:00 3/28/2009

بهيج حجيج لـــ" السياسي": أبطالي ضحايا الحرب وعقيدة السلاح

في سياق سلسلة مقارباتها السينمائية المعنونة "وجهًا لوجه ما كان"، نظمت جمعية أمم للأبحاث والتوثيق عرضاً لفيلم "زنار النار" لمخرجه بهيج حجيج المقتبس عن رواية "المستبد" لرشيد الضعيف. حضر العرض إلى جانب المخرج والممثلة جوليا قصّار حشد من رواد الهنغار والمهتمين.

بهيج حجيج درس في الجامعة اللبنانية، حاز على إجازة في الفلسفة العامة وديبلوم دراسات عليا في المسرح، ثم سافر إلى فرنسا حيث درس الإخراج السينمائي.

عند عودته إلى لبنان، عمل في التلفزيون ثم أخرج مجموعة من الأفلام الوثائقية منها "الخط الأخضر"، "بيروت حوار الأنقاض"، "مخطوفون"، ثم أخرج فيلمًا سينمائيًا بعنوان "زنار النار" عام 2004، حاز على جوائز عالمية، وهو أستاذ في معهد الفنون الجميلة في الجامعة اللبنانية.

جريدة " السياسي" كانت لها هذا الحوار معه:

ــ هل تعتقد أن اللبنانيين تعلموا من حروبهم السابقة، وبناءً على ذلك لن يخوضوا حروبًا جديدة بين بعضهم البعض؟ وهل الذين حملوا السلاح لم تكن لديهم قضايا يدافعون عنها؟

في الحقيقة أنا لا أتكلم سوى عن مرحلة الثمانينيات حيث تحولت الحروب آنذاك إلى حرب عبثية تدميرية لا معنى لها، كما وأني لا أرصد في هذا الفيلم آراء ومعتقدات الذين يحملون السلاح بل أرصد حياة ويوميات متلقي آثارها أي الناس

العاديين الذين لا حول لهم ولا قوة بصرف النظر إن كانت الميليشيات التي تتقاتل تملك قضايا وتدافع عنها.

ــ ثمة دور خاص ومحوري لناطور المبنى الذي يقيم فيه بطل الفيلم. ماذا قصدت من هذه التصرفات الوقحة التي كان يقوم بها في علاقته مع سكان المبنى وتحديدًا مع البطل؟

إنني أنظر إلى الناطور في هذه المرحلة من حياة اللبنانيين كديكتاتور يريد فرض نظامه الخاص على السكان والمكان، لذلك رأيناه مسالمًا في بداية الأمر في محاولة منه لمد سيطرته وتحقيق مآربه بشكل سلس، إلا أنه ومع تفاقم الأمور أخذ يُظهر أنيابه من خلال تسلحه بسلاح أوتوماتيكي. كما وإني أعتقد في الأسلوب الذي قدمت فيه شخصية الناطور في هذا الفيلم أردت التعبير عن اضمحلال حياة الناس العاديين الشخصية التي تحتويها بيوتهم من خلال التسلط الذي يمارسه الناطور وأمثاله. وبالتالي نخرج بنتيجة مؤلمة أنه لا حياة خاصة في الحرب أو ممنوع علينا حتى ممارستها دون أن تكون معرضة لأعين وسلطة رجال الميليشيات.

ــ كما نعرف أن الفيلم مأخوذ عن رواية "المستبد" للكاتب اللبناني رشيد الضعيف. إلى أي مدى التزمت بأحداث الرواية وتفاصيلها؟

إذا ما قمنا بعملية مقارنة بين الرواية وبين الفيلم الذي أخرجته لوجدت أن الرواية أخذت مآلاً آخر بفعل الوجهة التي أردت أن آخذ الرواية إليها، فرشيد الضعيف يبني رواية قائمة على علاقة عابرة تجري بين إحدى تلميذاته في إحدى الغرف أثناء إحدى جولات الحرب والتي لا يرى وجهها أو شكلها، وتختفي من بعدها؛ فيبدأ برحلة البحث عنها طيلة أحداث الرواية.

أما أنا في فيلمي أهملت- إذا ما أردنا الدقة- هذا الجانب، وركزت على الأحداث التي تجري في الحرب يوميًا من حوادث وحواجز وقصف وعدم الأمان، وقلة النوم وتداخل العلاقات الانسانية ببعضها البعض. باختصار أردت التحدث عن الحرب التي عشناها، هذه الحرب التي رفضت أن أقوم بصناعة أي فيلم خاص بي إن كان لا يتحدث عنها.

ــ إلى أي مدى المقاربة صحيحة ودقيقة بين رواية " الطاعون" التي يستشهد بها البطل دائمًا وبين ما أردت قوله عن الحرب؟

إنني أعتبر رواية " الطاعون" عامودًا فقريًا في ما أود قوله في الفيلم. ففي رأيي أن هذا المرض الذي أماهيه بالحرب إنما يتفشى في حياتنا مثل الطاعون يتغلغل فيها ويصيبنا جميعًا بمآسيها وشرورها. وإذا كان ثمة اختلاف بين الرواية والفيلم، إنما يكمن في دور البطلين. ففي الرواية البطل إيجابي بمعنى أنه يداوي الناس يسعى إلى إنقاذهم من الموت المحتم. أما في الفيلم فالبطل وبعد تحمله المستمر الذي يؤديه إلى الانفجار وعدم قدرته على السطيرة على أعصابه

وحياته.

ـ هل يمكن تفسير المشهد الأخير من الفيلم، حيث يقوم أحد السكان بأخذ بطاقة هوية البطل بعد إصراره أن الحاجز لا أنه ما زال قائمًا بالرغم من انتهاء الحرب. إن الأمر لا يعدو كونه هدفًا، أو أننا لا نرى أفقاً لانتهاء هذه الدوامة؟

عندما قمت بصناعة الفيلم في منتصف الثمانينيات كان لا يزال أمام انتهاء الحرب حوالي الخمس سنوات، كنت آمل مثلي مثل جميع اللبنانيين أنه كابوس ولا بد أن ينتهي. في نهاية المطاف طبعًا، حتى يحصل هذا الأمر لابد من مقدرة كبرى على الصبر، وبصيرة، وأمل لا يستهان به. وهو ما حصل في التسعينيات.